يوديت أليرت

علبة الخبز المقرمش

رسالة مخفية بها تنقذ العائلة

دار نشر كارلسن

إهداء لعائلتي الرائعة والمجنونة

(لكن أرجو عدم الإفراط في التفسير – أنا أحب فقط سرد القصص!)

مقدمة

تبقى كيلومتران.

كيلومتران!

انفتح باب سيارة الشرطة.

التقط "فيني" أنفاسه اللاهثة.

همس "فيني" بعينين كبيرتين مليئتين بالخوف: «علينا أن نخفي سامي أيضًا وليس جدنا فقط».

«ماذا تقصد يا "فيني"؟» قطَّبت الأم جبينها. صارت به حفرة عميقة كأنها صدع في الأرض.

«حسناً، لأنه... » وضع "فيني" يده سريعًا على فمه.

نظرت ماما إليَّ بحدة في المرآة الخلفية. «ماذا يقصد يا "صامويل"؟»

«حسناً... » نظرتُ من النافذة. لم ينزل أحد من السيارة بعد. «من الأفضل ألا ترانا الشرطة أنا و"فيني". سأشرح كل شيء أخر لاحقاً».

«ماذا جرى يا "سام"؟ تكلَّم!»

كان بابا لا يزال ينطق الاسم هكذا: "سيم" وكان ذلك هو اسمي في القصص البطولية.

«الأمر معقد للغاية... ثقوا بي، حسنًا؟ سأشرح لكم كل شيء على الفور!» حسنًا، لقد بديت يائسًا بعض الشيء. لأنني لم أعد أثق بنفسي على الإطلاق. خاصة بعد الجمل التالية:

«وأعطيني أحمر الشفاه الخاص بكِ يا ماما... وأحتاج سترة باربي الخاصة بـ"لينشين"! وأنتم أيها الصغار في الخلف، العبا الآن لعبة التوأمين الميتين، اتفقنا؟ لكنها هذه المرة ليست لعبة. الأمر جاد! جاد للغاية! مفهوم؟ »

كنت قد رفعتُ صوتي. وتحدثتُ بسرعة. نظرت لي "لينشين" و"فيني" بثبات وأومأ كلاهما برأسه. مثل دمية الكلب الذي يهز رأسه والتي توضع في السيارات. توك. توك. توك.

نزلت الشرطية من السيارة، وأعطتني ماما سترة "لينشين" الوردية الكبيرة اللامعة.

وأحمر الشفاه.

قبل بضعة أيام:

كل شيء على ما يرام حتى الآن

«يا سااااامي! ما هي *بقايا الموتى*؟»

كانت هذه "لينشين". مرة أخرى. استطعت بالكاد ألا أبصق الحساء على الطاولة.

مع أنني ينبغي أن أكون قد تدربتُ شيئًا فشيء على الإجابة عن الأسئلة الغريبة. فهذا مجرد سؤال واحد من حوالي عشرة آلاف سؤال ألحت عليَّ بها شقيقتي الصغيرة في الأيام الماضية. لفَّت "لينشين" إحدى خصلات شعرها الأشعث بين أصابعها ونظرت إليَّ بفضول. تنحنح بابا وابتسم لي. كان ينقصه فقط أن يدندن مبتهجًا بصوتٍ كالطنين. فهو يفعل ذلك دائمًا. يصدر صوت طنين مثل نحلة صغيرة، وغالبًا ما يرتدي عندئذ قميصًا مخططًا. وصار منذ أسبوعين يفعل ذلك أكثر من ذي قبل. لقد تعرض بابا لطفرة، حوَّلته إلى نحلة صغيرة خارقة.

مدَّت ماما يدها إلى هاتفها المحمول ومرَّرت إصبعها عليه بانشغال شديد. كأن العالم كله بداخله وكل ما حوله مجرد رسائل غير مرغوب فيها. جلست جدتي أمامي. كانت تحدق من جديد

في الفراغ دون أي حركة. كأنها مجرد غلاف خارجي للجدة دون أن يكون بداخله أي شيء. أما ما تبقى منها فقد... ضاع. أو انزلق إلى عالم أخر. وماذا عني؟ حسناً، يجب على أحدنا أن يتعامل مع كل هذا الجنون هنا! هيا بنا:

«اممم... بقايا الموتى ... حسناً... إنها ... ما يتبقى بعد وفاة الإنسان. آخر ما يتبقى منه أو ما شابه ذلك».

لا عجب أنني تلعثمت بهذه الدرجة.

فأنا نفسي لم أفهم الأمر.

لماذا موتى؟ ما الذي يمكن أن يموت في شخص متوفي؟ لا يمكن أن يموت أحد بعد الوفاة! أم أن الأمر يتعلق بصعود الروح إلى السماء؟ أم أن الإنسان يصير ملاكًا؟ لكن هذا أمر لا يؤمن به الجميع. بالنسبة للكثيرين، الموتى مجرد طعام للديدان. أو كومة صغيرة من الرماد في علبة. وبالنسبة لي؟ لا أدري! لا أدري على الإطلاق! لم يسبق لي أن فكرت في هذا الأمر من قبل. بالطبع، عندما كنت صغيرًا، دفنتُ بمراسم مهيبة طائرَا، كان قد اصطدم بالنافذة فمات. كما ذهبتُ إلى جنازات أقارب بعيدين، لم أرهم سوى مرتين أو ثلاث مرات في حياتي. والبحث في جوجل أو يوتيوب لا يجدي كثيرًا في مثل هذا الموقف. إن موضوع الموت

أمر معقد للغاية. فكيف يمكن لأحد أن يفهم شيئًا – ثم يشرحه لشقيقته الصغيرة – وهو في الحقيقة غير موجود تمامًا؟ إنه مجرد... فجوة. فجوة ضخمة غير مرئية تمتليء باللاشيء. فجوة تسبب الألم إلى حدٍ ما. ولكن كثيرًا، كثيرًا جدًا، يبدو الأمر غريبًا للغاية.

وغير حقيقي.

وسخيف للغاية.

بكل تأكيد!

لم تبدُ "الينشن" راضية للغاية عن إجابتي. وقبل أن تتمكن من قول أي شيء أخر، سأل بابا، الذي بدا مثل نحلة صغيرة، مبتسماً ابتسامة عريضة: «هل يريد أحدكم عصير ليموناده؟»، وحمل الزجاجة والأكواب فارتطمت ببعضها البعض محدثًة صوتًا عاليًا.

تمتمتُ بكلمة شكر وارتشفتُ رشفًة كبيرًة. ومع ذلك شعرت بحرقان في عيناي، وبأن كتلة سميكة غبية – تزن ثلاثة كيلوجرامات على الأقل وحجمها مثل حجم ثمرة جريب فروت – تضغط على حلقي من الداخل.

لا تولول مرة أخرى!

لا تفكر في هذا *الأمر* مجددًا. ركز على شيء أخر: فلتتناول الحساء! أخذتُ ملعقتي وغمرتها في صحني. ليتني أتخيل أن جدي قد خرج لفترة قصيرة فقط. لم يغادر حقًا، حقًا أبدًا... على الأقل طوال فترة تناول الحساء.

إذن: أضع الملعقة في الطبق، أحملها إلى فمي، ابتلع ما فيها. أضع الملعقة في الطبق، أحملها إلى فمي، ابتلع ما فيها. حتى جعلت "لينشين" ملعقتها تسقط في الحساء وسألت: «ألا يجب أن يأكل "فيني"؟ إذًا أريد أن ألعب أيضًا!»

كان شقيقها التوأم في غرفته. صار يتصرف باعتباره "فيني" من جديد. فعندما يريد "فيني" شيئًا ما، يتصرف إما بلطف شديد وظرف، أو يغرق في صمت بارد بشدة ويصبح متحجرًا كأنه تمثال. كان ذلك الاختيار فعالًا أكثر من تصرفه بلطف. فكلما ازداد "فيني" جمودًا، صار والداي أكثر ليونة. ولم أر "فيني" اللطيف منذ أسبوعين. لذلك صار من حقه أن يبقى بجوار سياراته اللعبة لوقتٍ طويل جدًا حتى صنَّفها جميعًا حسب الحجم واللون. انتفضت "لينشين" وقفزت، أرادت أمي أن تمسكها، لكنها كانت أسرع منها.

هرعت ماما وراءها.

بعد أقل من نصف دقيقة، دوَّى صراخ "لينشين".

صرختُ معها على الفور. وفي الوقت نفسه قفزتُ من على الكرسي الذي أجلس عليه. اندفعتُ باتجاه الباب. لكن للأسف بقيت عالقًا في زاوية طاولة المطبخ.

«آه! آه! اللعنة!» سقطتُ على الأرض متأوهًا.

«هل أنت بخير يا سامي؟» قالها بابا ووضع يده على كتفي.

قلت بصوتٍ عالٍ: «نعم، نعم، كل شيء على ما يرام. مجرد خدش». ثم صححتُ حديثي وقلت لنفسي بصوتٍ منخفض: « كل شيء على ما يرام حتى الآن».

وهتفت ماما من الخارج في الوقت ذاته قائلَةً: «كل شيء على ما يرام هنا، لا داعي للقلق!»

كل شيء على ما يرام.

لا داعي للقلق.

بالطبع.

عندما وقفتُ مرة أخرى، كان بابا أيضًا قد خرج من الباب.

كانت جدتي لا تزال جالسة إلى الطاولة. على أي حال، كان جسدها كذلك. عضضت شفتي بقوة، بقوة شديدة.

قلت: «أراكِ لاحقًا يا جدتي... ». لم ترد.

على الرغم من أن جدتي كانت هنا من أجلنا دائماً. كانت. سواء كان الأمر يتعلق بضمادة أو فطيرة محلاة أو ... هذا أو ... ذاك... لا أدري. لا يهم أبدًا ما الأمر. إذ كنا نستطيع أن نلجأ إلى جدتنا *دائمًا*. من أجل أي شيء في العالم – بينما يحكي الجد قصصه البطولية بابتسامة عذبة، ويقوم بأشياء سحرية ما خلف أذنيه ويهز عندئذ كل شيء بشكل عفوي. (العالم كله تقريبًا). في الماضي. آنذاك. كان ذلك ذات مرة.

لم تكن هناك في أي مكان ضمادة كبيرة كهذه لنضعها على الجرح الذي أحدثه رحيل جدي وسطنا.

استلقى شقيقي الصغير في سريره.

دونما حركة.

تقريبًا.

أخذ يرمش بعينيه.

قالت "لينشين" بإصرار: «"فيني" مات. لهذا بكيت».

أشارت إلى عينيها اللتان لم تبدوان وكأنهما بكيتا على الإطلاق. كانتا جافتين مثل الصحراء الكبرى.

قالت أمي: «لقد صرختِ. وأفزعتِ أخاك الكبير بشكل لا يصدق».

قلتُ كاذبًا: «هذا هراء» بينما ظللتُ أشعر كيف ودَّ قلبي أن يقفز من صدري إلى أي مكان أخر.

سأل شقيقي الصغير: «كم من الوقت يظل الإنسان ميتًا؟» بينما حاول جاهدًا أن يبقي عينيه مغمضتين.

نفخت "لينشين" من الغيظ.

«الموتى لا يستطيعون الكلام. والموت يستمر إلى الأبد!»

جلس "فيني". وقال: «هل هذا يعني أن جدي مات إلى الأبد؟» ارتجفت شفته السفلى بشدة.

رفعت ماما يدها بعجز وقالت: «آه يا "فيني"... لقد سبق وأن تحدثنا عن هذا الأمر بالفعل».

تمتمتُ قائلًا: «مئات المرات».

صرخت "لينشين: «حان دوري!» وحشرت جسدها بجوار "فيني" في السرير. وضعت ذراعيها على صدرها بإحكام وأغمضت عينيها وجعلت جسدها متصلبًا تمامًا. عندئذ استلقى "فيني" أيضًا مرة أخرى.

قالت "لينشين" وهي تقهقه: «ها ها، نحن نرقد في تابوت مزدوج! هذا أمر مضحك، أليس كذلك؟»

لم يبدُ شقيقي مسروراً كثيرًا. أومأ برأسه بجدية وقال: «نحن توائم ميتة».

على الرغم من أنه كان يعرف منذ زمن طويل كيف يقول ذلك بطريقة صحيحة. فعلى أية حال، هو توأم منذ ما يقرب من ستة أعوام. لكنه فجأة عاد إلى استخدام الكلمات التي كان يقولها عندما كان طفلًا رضيعًا. حسناً. لم يحدث ذلك فجأة. فقد بدأ ذلك قبل أسبوعين بالضبط. في اليوم المشهود.

ولم تصحح ماما خطأ "فيني". على الرغم من أنها كانت دائمًا تهتم كثيرًا بأن *يتحدث بشكل مُرتَّب*. بشكل عام، تعد كلمتا «نظيف» و«مُرتَّب» كلمتاها المفضلتان. ولديها اسم ثاني هو «بخاخ مطهر ومناديل مبللة» (لديها اشتراك لدى أحد المتاجر الإلكترونية التي تبيعهما. ويصلها منه كل ثلاثة أشهر طرد. هذا

ليس مزاحًا)، ولو أُعلِنَ موعد آخر يوم على وجه الأرض، فمن المؤكد أنها ستدون ذلك أولاً في تطبيق هاتفها المحمول. في تلك اللحظة، كان للجنون جانب جيد على الأقل – إذ لم يطرح الصغار أسئلة مخيفة لبضع دقائق. وبدلاً من ذلك، أغمض كل منهما عينيه بإحكام وضغطا شفاههما على بعضها البعض.

قالت ماما: «يجب أن... أجري مكالمة هاتفية أخرى» وتسللت خفيًّة من غرفة الأطفال.

نظر إليها بابا لثانية. ثم ابتسم ابتسامًة عريضًة وصفق بيديه قائلًا: «مرحبًا أيها الصغيران الفوضويان. ما رأيكما في تناول بعض البسكويت؟»

أدى ذلك إلى عودتهما سريعًا جدًا للحياة.

جذبني "فيني" من كم ملابسي وهو في طريقه إلى المطبخ. انحنيت نحوه.

ثم همس في أذني بصوتٍ منخفض جدًا (ودافئ إلى حدٍ ما ورطب– إذ أن "فيني" يبصق دائمًا هكذا عندما يكون متحمسًا): «علينا أن نفعل شيئًا! لا يمكن أن يبقى جدي ميتًا دائمًا وإلى الأبد!»

فعضضت شفتاي بقوة مرة أخرى. للمرة الألف تقريبًا. للمرة الألف منذ وفاة جدي.